بُنَاة دَوْلَـةِ الإِسْلام

- ٢٦ -

سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ

رَضِيَ الله عنه

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للَّـهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أما بعد:

فَإِنَّ الإِسْلاَمَ قَدْ سَاوَى بَيْنَ النَّاسِ وَأَزَالَ الطَّبَقَاتِ وَقَضَى عَلَى الفُرُوقِ والحَوَاجِزِ القَائِمَةِ الَّتِي تَفْصِلُ المُجْتَمَعَ إِلَى فِئَاتٍ وَتُمَيِّزُ بَيْنَها عَلَى أَسَاسِ الأَصْلِ وَالجِنْسِ وَاللَّوْنِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَبَايُنٍ وَخِلاَفَاتٍ، وَأَمَّا الفُرُوقُ في المَوَاهِبِ الفِكْرِيَّةِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنِ اخْتِلاَفٍ فِي المِهْنَةِ وَالكَسْبِ، وَالفُرُوقُ فِي الإِمْكَانَاتِ الجِسْمِيَّةِ وَمَا يَنْتُجُ عَنها مِنْ تَبايُنٍ فِي القُوَّةِ، وَإِمْكَانِيَّةِ في تَحْصِيلِ المَعَاشِ، وَالفُرُوقُ فِي الإِنْجَابِ مِمَّا يَزِيدُ فِي الإِنْتَاجِ وَيُؤَدِّي إِلَى المُفَاخَرَةِ وَالإِعْجَابِ فَإِنَّ هَذَا لاَ يُبَالِي بِهِ الإِسْلاَمُ، وَإِنَّما يَجْعَلُ التَّمَايُزَ فِي التَّقْوَى إِذْ بِها يَكُونُ الإِخْلاَصُ وَالإِسْتِقَامَةُ وَالمَحَبَّةُ وَمَعْرِفَةُ المُهِمَّةِ المُنَاطَةِ بِالمَرْءِ.

وَإِذَا كَانَ الإِسْلاَمُ قَدِ اعْتَرَفَ بِالرَّقِيقِ كَجُزْءٍ مِنَ النِّظَامِ الاِجْتِمَاعِيِّ القَائِمِ ، وَأَقَرَّهُ كَمَرْحَلَةٍ مِنَ المَرَاحِلِ التَّارِيخِيَّةِ ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ ضَيَّقَ مَصَادِرَهُ فَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يُؤْخَذُ فِي الحُرُوبِ كَمُعَامَلَةٍ بِالمِثْلِ ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ وَسَّعَ طُرُقَ تَصْرِيفِهِ فِي العِتْقِ وَالصَّدَقَاتِ وَالكَفَّارَاتِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ، وَجَعَلَ الأُخُوَّةِ قَائِمَةً فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَ السَّيِّدِ وَموْلاَهُ فَكَانَ أَنِ ارْتَفَعَ عَدَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الامْكَانَاتِ مِمَّنْ كَانُوا عَبِيداً حَتَّى وَصَلُوا إِلَى القِمَّةِ فَكَانَ مِنْهُمْ قَادَةٌ أَمْثَالَ زَيْدِ بن حَارِثَةَ ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَئِمَّةٌ وَقُرَّاءُ أَمْثَالَ سَالِمٍ وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ دَوْرٌ فِي الطَّلاَئِعِ أَمْثَالَ بِلاَلِ وَصُهَيْبِ وَعَمَّارِ وَسَلْمَانَ و . . . . وَرُبَّمَا يَصِلُ الأَمْرُ إِلَى أَبْعَدِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ يَتَوَلَّى إِمْرَةَ المُؤْمِنِينَ ، وَهُنَا نَذْكُرُ قَوْلَةَ عُمَرَ بن الخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عِنْدَمَا طُعِنَ ، وَطُلِبَ مِنْهُ تَعْيِينُ خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ : «لَو كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيَّاً لَوَلَّيْتُهُ ، وَلَوْ كَانَ سَالِمُ حَيَّاً لَوَلَّيْتُهُ» .

وَيُعَدُّ سَالِمُ أُنْمُوذَجاً لِمَنْ رَفَعَهُمُ الإِسْلاَمُ ، وَسَاوَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَادَتِهِمْ فِي السَّابِقِ بَلْ رُبَّمَا تَفَوَّقَ بَعْضُهُمْ عَلَى سَيِّدِهِ ، وَهَذَا مَا كَانَتْ تَخْشَاهُ الجَاهِلِيَّةُ وَيَخَافُهُ طُغَاتُهَا .

أَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ أُوَفَّقَ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ هَذَا

الصَّحَابِي الجَلِيلِ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالصِّدْقَ وَالإِخْلَاصَ فِي العَمَلِ وسَدَادَ الخُطَا، والتَّأْيِيدَ فَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ.

يَعُودُ سَالِمُ فِي أَصْلِهِ إِلَى اصْطَخْرَ مِنْ بِلاَدِ فَارِسٍ ، وَلَـمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ اسْمَهُ الفَارِسِيَّ القَدِيمَ ، وَإِنَّمَا حَفِـظَ لَنَا الاسْمَ الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ فِي بِلاَدِ العَرَبِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى سَبْيِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، بَلْ لاَ نَعْرِفُ إِلَى مَنْ آلَتْ مُلْكِيَّتُهُ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُ مَا نَذْكُرُ أَنَّهُ عِنْدَ ثُبَيْتَةَ بِنْـتِ يَعَـارِ الأنصَـارِيَّةِ مِنْ بَنِـي عُبَيْدِ بـنِ زَيْدِ بنِ مَالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ مِنَ الأَوْسِ ، لِذَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَحْيَاناً سَالِمُ بنُ عُبَيْدٍ ، كَمَا يُقَالُ لَهُ سَالِمُ بـنُ مَعْقِلٍ وَبِهَذَا يُعَدُّ مِنَ الأَنْصَارِ . وَقَدْ أَسْلَمَـتْ ثُبَيْتَـةُ ، وَأَسْلَـمَ سَالِمُ ، وَأَعْتَقَتْهُ ، وَكَانَ ذَا صَوْتٍ نَدِيٍّ وَقِرَاءَةٍ عَذْبَـةٍ مِمَّـا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَجِيئَهُ إِلَى بِلاَدِ العَرَبِ كَانَ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ حَتَّى نَشَـأَ مُجِيداً لِلُّغَـةِ مُحْسِنـاً لِلنُّطْـقِ مُتْقِنـاً لإِخْـرَاجِ الحُـرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا الصَّحِيحَةِ ، وَكَانَ حِفْظُهُ لِكِتَابِ اللَّهِ جَيِّداً .

وَبَدَأَ المُهَاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ يَفِدُونَ إِلَى المَدِينَةِ بِإِشَـارَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَـةِ الثَّـانِيَةِ

فَنَزَلُوا بِالعُصْبَةِ إِلَى جَنْبِ قُبَاءَ فَكَانَ سَالِمُ يَؤُمُّهُمْ لِلصَّلاَةِ وَفِيهِمْ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيُّ لأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآناً، وَذَلِكَ قَبْلَ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَدِينَةِ.

وَلَمَّا تَزَوَّجَ أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ ثُبَيْتَةَ تَوَلَّى سَالِمُ أَبَا حُذَيْفَةَ فَأَصْبَحَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ فَيُقَالُ سَالِمُ بنُ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَبِذَا يُعَدُّ مِنَ المُهَاجِرِينَ لِلسَّبَبِ هَذَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]، فَأَصْبَحَ يُقَالُ لَهُ بَعْدَهَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ.

وَأَدْرَكَ سَالِمُ مَا يُدْرِكُ الرِّجَالُ، وَبَقِيَ يَدْخُلُ عَلَى بَيْتِ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي دَارِ ثُبَيْتَةَ مَوْلاَةِ سَالِمٍ السَّابِقَةِ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ

---

(١) سورة الأحزاب ٤ ـ ٥.

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَتْ: إِنِّي أَرَى ذَاكَ فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـم: أَرْضِعِيهِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ ذُو لِحيَةٍ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ ذُو لِحْيَةٍ، فَإِذَا أَرْضَعْتِيهِ فَقَدْ حَرُمَ عَلَيْكِ مَا يَحْرُمُ مِنْ ذِي المَحْرَمِ. وَقَدْ أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّه، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَدْخُـلَ عَلَيْهِـنَّ أَحَدٌ بِهَذَا الرِّضَاعِ، وَقُلْنَ إِنَّمَا هَذَا رُخْصَـةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّم، لِسَالِمٍ خَاصَّةً. وَقَدْ ذَكَرَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ أَنْ خَالَتَهُ عَائِشَةَ إِنَّمـا أَخَـذَتْ بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَكَّةَ إِلَـى المَدِينَةِ، وَآخَـى بَيْنَ المُسْـلِمِينَ، فَآخَـى بَيْنَ أَبِـي عُبَيْدَةَ بـنِ الجَرَّاحِ وَبَيْنَ سَالِـمٍ، وَهَـذَا يَدُلُّ عَلَـى مَكَانَـةِ سَالِـمٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ عَامَّةً وَبَيْنَ الأَنْصَارِ خَاصَّةً.

وَأُذِنَ لْلمُسْـلِمِينَ بِالقِتَـالِ ﴿أُذِنَ لِلَّـذِينَ يُقَاتَلُـونَ بِأَنَّهُـمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِـمْ لَقَـدِيرٌ. الَّـذِينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ﴾[1]. فَبَدَأَ الصِّرَاعُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ وَدَارَتِ المَعَارِكُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَاشْتَرَكَ سَالِمُ فِي الغَزَوَاتِ كُلِّهَا، وَحَضَرَ المَشَاهِدَ جَمِيعَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدْءاً مِنْ بَدْرٍ وَحَتَّى تَبُوكَ، وكَانَ فِي هَذِهِ الغَزَوَاتِ بِجَانِبِ أَبِي حُذَيْفَةَ، مَا تَخَلَّفَ عَنْ مَشْهَدٍ وَلاَ تَأَخَّرَ عَنْ مَعْرَكَةٍ.

وَقَدْ عَامَلَ أَبو حُذَيْفَةَ سَالِماً مُعَامَلَةً إِسْلاَمِيَّةً تَلِيقُ بِهِ، فَكَانَ يُطْعِمُهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَيُلْبِسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَقَدْ أَكْرَمَهُ أَيْضاً، فَزَوَّجَهُ ابْنَةَ أَخِيْهِ فَاطِمَةَ بِنْتَ الوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ.

وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصَّوْتِ النَّدِيِّ فِي قِرَاءَةِ القُرْآنِ، فَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَبْطَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: مَا حَبَسَك؟ قُلْتُ: إِنَّ فِي المَسْجِدِ لَأَحْسَنَ مَنْ سَمِعْتُ صَوْتَاً بِالقُرْآنِ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، وَخَرَجَ يَسْمَعُهُ، فَإِذَا هُوَ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، فَقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ»[2].

وَرَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمُ وَالتِرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ طَرِيقِ

---

(1) سورة الحج ٣٩ ـ ٤٠.
(2) أخرجه أحمد وأبو نعيم.

مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرو بنِ العاصِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، قَالَ: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبعَةٍ مِنِ ابنِ مَسْعُودِ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ». وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

الفَوْزُ بِالشَّهَادَةِ

عِنْدَمَا ارْتَدَّتِ العَرَبُ، وَتَطَوَّعَ المُسْلِمُونَ فِي الجِهَادِ، وَسَارَتِ الجُيُوشُ إِلَى المُرْتَدِّينَ، كَانَ سَالِمٌ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي الجَيْشِ الَّذِيْ سَارَ بِإِمْرَةِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ إِلَى اليَمَامَةِ، وَكَانَ لِوَاءُ المُهَاجِرِينَ مَعَ سَالِمٍ. فَلَمَّا انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ، قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بِئْسَ حَامِلُ القُرْآنِ أَنَا - يَعْنِي إِنْ فَرَرْتُ -، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ: مَا هكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَفَرَ لِنَفْسِهِ حُفْرَةً فَقَامَ فِيهَا، تَصْمِيماً عَلَى الثَّبَاتِ وَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ. وَقِيلَ: إِنَّ يَمِينَهُ قَدْ قُطِعَتْ فَأَخَذَ اللِّوَاءَ بِيَسَارِهِ فَقُطِعَتْ فَاحْتَضَنَهُ حَتَّى لَقِيَ حَتْفَهُ.

وَقَالَ لأَصْحَابِهِ وَهُوَ يَحْتَضِرُ: مَا فَعَلَ أَبُو حُذَيْفَةَ قِيلَ لَهُ قُتِلَ، قَالَ: فَأَضْجِعُونِي بِجَنْبِهِ.

وَقِيلَ: إِنَّ مِيْرَاثَهُ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى ثُبَيْتَةَ فَرَفَضَتْ أَخْذَهُ، فَأُرْسِلَ إِلَى زَوْجِهِ فَأَبَتْ، فَوُضِعَ فِـي بَـيْتِ المَالِ.

قَالَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ لِعُمَرَ بن الخَطَّابِ بَعْدَ أَنْ طُعِنَ: أَمَـا إِنَّكَ لَوْ أَشَرْتَ بَرَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لأَئْتَمَنَكَ النَّاسُ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَائْتَمَنَهُ النَّاسُ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَصْحَابِي حِرْصَاً سَيِّئَاً، وَإِنِّي جَاعِلٌ هَذَا الأَمْرَ إِلَى هَؤُلاَءِ النَّفَرِ السِّتَّةِ. ثُمَ قَالَ: لَوْ أَدْرَكَنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ جَعَلْتُ إِلَيْهِ الأَمْرَ لَوَثِقْتُ بِهِ، سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بَنِ الجَرَّاحِ.